



خطبة صلاة الجمعة 16 / 8 / 2024 للشيخ الطيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(التأهيل النفسي للمقبلين على الزواج)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليفه، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: 72].

وقال سبحانه في وصف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74].

أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كلكم راع ومسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيته، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته»، قال: فسمعت هؤلاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحسب النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والرجل في مال أبيه راع وهو مسئول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته».

وأخرج الإمام الترمذي عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «خيرُكم خيرُكم لأهله، وأنا خيرُكم لأهلي».

هذه الخطبة الرابعة عشرة في سلسلة خطب عناونا: (الحياة الأسرية)، تتحدث عن أهمية الأسرة وقيمتها وطريقة بنائها في الإسلام وحقوق وواجبات أفرادها وخطط أعداء الإنسان في هدمها وطرق حمايتها.

عنوان خطبة اليوم: التأهيل النفسي للمقبلين على الزواج

يتعين على طالب الزواج -رجلاً كان أو امرأة- أن يتهيأ نفسياً لما سيذهب إليه، فضلاً عن تأهيله المادي والتربوي والمعرفي؛ لأن من مضى لأمرٍ أعدَّ عدته وأخذ أهبطه. ويتعين على الوالدين والمرشدين والمجتمع تأهيل المقبلين على الزواج تأهيلاً نفسياً صحيحاً. وإني رأيت تأهيل الداهيين نحو الزواج نفسياً بأربع كلمات: (مسؤولية، وتضحية، وقبول للاختلاف، وسكينة)

أولاً: الزواج مسؤولية:

لو أردنا اختصار الزواج بكلمة لكانت (المسؤولية)؛ لأن أعباءً جديدةً ستُلقى على عاتق كلا الزوجين، فبناءً بيتٍ جديد وأسرة جديدة يقتضيان جهوداً تأسيسية كبيرة، ثم جهوداً تشغيلية - إن صح هذا التعبير-. ولا ريب أن الجهود التأسيسية للمشاريع المهمة تفوق الجهود التشغيلية، ولذلك كانت السنوات الأولى في الزواج أصعب مما بعدها. وقد مر في خطبة واجبات الزوجين أن مسؤولية الرجل القوامه والنفقة، ومسؤوليتنا المرأة الطاعة وحفظ البيت والزوج والأولاد، وثمة مسؤوليتان يشتركان فيهما رعاية الأولاد ورعاية كل منهما صاحبه.

فلنعُدَّ كلُّ مقبل على الزواج عدته لمسؤولياته وليتجهز لواجباته، فإن الزواج مسؤولية ومن أدى واجباته ومسؤولياته أُعِين وأُثِيب.

2- الزواج تضحية:

لا يستمر زواج من غير تضحية؛ يقدِّمها حيناً الزوج، وتقدِّمها حيناً الزوجة، ويقدِّمها كلاهما حيناً ثالثاً.

فكم من متخرِّجة في كليات علمية أو نظرية ضحَّت برتبتها الوظيفية لتحمي بيتها وأولادها، ففرَّغت نفسها لهم وصنعت منهم الكبار المشهورين...!

وكم من أبٍ قليل ذات اليد آثر زوجه وأولاده بالمال الذي يجنيه من عمله ليرتاحوا ولو تعب هو،
وليرتقوا ولو كان الارتقاء بارتفاعهم على كتفيه...!

السيدة أم هانئ أخت سيدنا علي رضي الله عنه وعنهما مات زوجها، تاركاً لها أيتاماً، فخطبها
رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه، فاعتذرت إليه؛ تخشى إن تزوّجت وأدّت حقّ زوجها أن تنقص
حقّ أولادها، وإن أدّت حقّ أولادها أن تنقص حقّ زوجها!

فضحّت السيدة أم هانئ بأشرف رتبةٍ تنالها امرأة في العالم، فإنها لو تزوجت رسول الله صلى الله
عليه وسلم لكانت (أم المؤمنين).

تقول أم هانئ: خطبني رسول الله فاعتذرت إليه فعذرني. (الطبقات الكبرى لابن سعد). فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خيرُ نساء رَكِيزِ الإبل صالحُ نساء قريش، أخناه على طفل في صِغره،
وأرعاها على زوج في ذات يده).

إنّ الزواج تضحية، ومن بذل لأسرته يريد ببذله وتضحيته وجه الله عوضه الله خيراً مما بذل.

3- الزواج قبولٌ للاختلاف:

الاختلاف سُنَّةٌ من سنن الله تعالى في الأرض، ولا تقوم الحياة من دونه، يقول الله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ
رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ...} [هود:
118].

ومن الطبيعي أن يختلف الزوجان في كثير وعلى كثير من الأمور، كيف لا؛ والزوجة أنثى والزوج
ذكر، وليس الذكر كالأنثى؟!

كيف لا؛ وقد نشأ الزوج في بيتٍ ونشأت الفتاة في بيتٍ آخر؛ أعرافه مختلفة، ومواعيده مختلفة،
وآراؤه مختلفة، وعلاقاته الاجتماعية مختلفة، وأفراحه وأحزانه مختلفة؟!

أقول: من رضي بأن يتخذ لنفسه زوجاً فقد رضي أن يعيش مع من يخالفه.

فمطلوب من الزوجين أن يستعدا لقبول الاختلاف، ويعلموا أنّ الاختلاف في أكثره اختلاف تنوّع
لا اختلاف تضاد، وإنّ كثرة الأنواع تثري وتغني وتلوّن الحياة لتكون أجمل.

وليتذكر الزوجان أنّ مرور الأيام على عيشهما المشترك يقاربُ بينهما ويوفّقُ بين كثير مما اختلفا
عليه، فيزدادُ التفاهم مع ازدياد سِنِّي زواجهما، وتقلُّ نقاط الاختلاف، أقول: تقلُّ ولا تنتهي؛ لأنه إذا
انتفى كلُّ فارقٍ انتفت الاثنيّتيّة.

الزواج قبول للاختلاف، فمن رضي الاختلاف عاش ومن لم يرضه طاش.

4- الزواج سَكِينَةٌ:

لئن كان طالب الزواج سيتأهل نفسياً لحمل أثقال المسؤولية والتضحية وقبول الاختلاف فإن له أيضاً أن يهيء نفسه للسكن بعد الاضطراب وللري بعد الظمأ، فإنَّ الغُثم بالغُرم.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: 21]، ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: 189] والسكن لا يكون إلا بعد حركة واضطراب.

قال السمرقندي في تفسيره: ﴿لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ يعني: لتستقرَّ قلوبكم عندها، وقال البيضاوي: أي لتألفوها وتميلوا إليها وتطمئنوا بها.

ولما كان الزواج طاعةً لله فإنَّ أول أجوره السَّكَنُ النفسي، ذلك لأنَّ للطاعة نوراً في الوجه وسكينةً في القلب وشرحاً في الصدر ونشاطاً في البدن ومحبةً في قلوب العباد، كما أن للمعصية أضدادها. والحق أقول أيها الإخوة إنَّ من بذل الثلاث الأول نال رابعها، فمن بذل من نفسه المسؤولية وضحي لأجل أسرته وقبل الاختلاف نال السَّكَنَ والطمأنينة، ومن لا فلا. هذه الأربعة هي مادة التأهيل النفسي للمقبلين على الزواج: (المسؤولية، والتضحية، وقبول الاختلاف، والسكينة).

وإنه من الظلم الاجتماعي ألا يتأهل الشباب والفتيات للزواج تأهيلاً نفسياً صحيحاً، وأشدَّ منه ظلماً أن يتأهلوا تأهيلاً سلبياً، فيتحول الزواج في نفوسهم وأذهانهم إلى حفلات عرس فاخرة، وعلاقات حبٍّ وهيام، وتخييل الفتاة الزوج فارس الأحلام قادماً من عالم الغيب حاملاً لعروسه أمنيات حياتها! ويتصور الشاب الزوجة الأميرة النائمة التي تنتظر قبلة الحياة لتصحو بعدها وتتبع زوجها في خطواته وتوافقه في مراداته كلها! ويغيب تحمُّل المسؤولية والاستعداد للتضحية وقبول الاختلاف.

وحين تمتلئ أذهان الشباب والفتيات وتُشحن عواطفهم ومشاعرهم بقصص الحب والعشق والغرام يتلقونها من شاشات الفضاء وروايات الماجنين وأشعار الفجار؛ يذهبون نحو الزواج دون استعدادٍ للتضحية أو قبولٍ للاختلاف أو تحمُّلٍ للمسؤولية، بل بحثاً عن هذا الذي مُلِّت به عواطفهم وقلوبهم، مما قد يجذبه أو لا؛ الأمر الذي يصيب حياتهم الزوجية بمقتل.

أيها الإخوة:

هذا حديثي عن التأهيل النفسي للمقبلين على الزواج (مسؤولية، وتضحية، وقبول للاختلاف،
وسكينة) واذكروا أنّ الزواج عبادة، وأنّ الحفاظ على الأسرة دين، وأنّ دعم الأسر القائمة والقادمة
صدقة جارية. (من مراجع الخطبة: الدورة التأهيلية للحياة الزوجية الطبعة الثانية).

والحمد لله رب العالمين